الثامنة أن أهل الحديث نقموا عليهم من مخالفة فروعهم لأصولهم مثل ما اتفق لسائر الفنون أصلوا أنه لا يقبل داعية وسمعت قبولهم له وأصلوا أنه لا يقبل غلاة الروافض وسمعت قبولهم له وأصلوا أنه لا يقبل أهل القدر وتراهم يقبلون من نص عليه وهذا كله يرشدك إلى أمر وهو أنه لا بد الاحتياط إلى الظن الصدق وأنه مدار الرواية التاسعة كلام الأقران والمتعادين في المذاهب والعقائد لا ينبغي قبوله فقد فتح باب التمذهب عداوات وتعصبات قل من سلم منها إلا من عصمه الله وعلمت أن عصرنا من الأعصار قال الحافظ الذهبي في ترجمة أحمد بن عبد الله بن أبي نعيم الأصبهاني ما نصه كلام الأقران بعضهم في بعض لا يعبأ به لا سيما إذا لاح لك أنه لعداوة أو لمذهب أو لحسد لا ينجو منه إلا من عصمه الله وعلمت أن عصرا من الأعصار سلم أهله من ذلك سوى الأنبياء والصديقين فلو شئت لسردت لك كراريس انتهى هذا كلام الذهبي ونصه وقد عيب عليه ما عابه على غيره قال ابن السبكي في الطبقات نقلا عن الحافظ صلاح الدين العلائي ما نصه الشيخ شمس الدين الذهبي لا أشك في ديانته وورعه وتحريه فيما يقول ولكنه غلب عليه مذهب الإثبات ومنافرة التأويل والغفلة عن التنزيه حتى أثر ذلك في طبعه انحرافا شديدا عن أهل التنزيه وميلا قويا إلى أهل الإثبات فإذا ترجم لأحد منهم أطنب في محاسنه وتغافل عن غلطاته وإذا ذكر أحدا من أهل الطرف الآخر كالغزالي وإمام الحرمين لا يبالغ في وصفه ويكثر من أقوال من طعن عليه وإذا ظفر لأحد منهم بغلطة ذكرها وكذا فعل في أهل عصرنا إذا لم يقدر على التصريح يقول في ترجمته والله يصلحه ونحو ذلك وسببه المخالفة في العقائد انتهى قال ابن السبكي وقد وصل حال الذهبي من التعصب وهو شيخنا إلى حد يستحيى منه وأنا أخشى عليه يوم القيامة من غالب علماء المسلمين والذي أفتي به أنه لا يجوز الاعتماد على شيخنا في ذم أشعري ولا في مدح حنبلي

وأقول

وأقول الصلاح العلائي وابن السبكي شافعيان إمامان كبيران والذهبي إمام كبير الشأن حنبلي المذهب وبين هاتين الطائفتين في العقائد في الصفات وغيرها تنافر كلي فلا يقبل أن عليه تجيء ما قالاه وقال ابن السبكي وقد عقد ابن عبد البر بابا في حكم قول العلماء بعضهم في بعض بدأ فيه بحديث الزبير دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء قال ابن السبكي وقد عيب على ابن معين كلامه في الشافعي وتكلم ابن أبي ذئب في مالك بن أنس وغيره قلت وإذا كان الأمر كما سمعت فينبغي أن يكون حال الناظر في كتب الجرح والتعديل وقد غلب التمذهب والمخالفة في العقائد حتى يوصف الرجل بأنه حجة ويوصف بأنه دجال باعتبار اختلاف الاعتقادات والأهوية فمن هنا كان أصعب شيء في علوم الحديث الجرح والتعديل فلم يبق للباحث ظلما ينتهي إلى قول أحد (سطرا) بعد قول ابن السبكي أنه لا يقبل الذهبي في مدح حنبلي ولا ذم أشعري وقد صار الناس عالة على الذهبي وكتبه ولكن الحق أنه لا يقبل على الذهبي ما ذكره الذهبي أنه لا يقبل الأقران المتعاصرون في قرن واحد والمتساوون في العلوم وهو مشكل لأنه لا يعرف حال الرجل إلا من عاصره ولا يعرف حاله من بعده إلا بالأخبار ممن قارنه إن أريد الأول وإن أريد الثاني فأهل العلم هم الذين يعرفون أمثالهم ولا يعرف أولي الفضل إلا ذووا الفضل فأولى أن أطلق ذلك من يعلم أن بينهما تنافسا أو تحاسدا أو شيئا يكون سببا لعدم التثبت بقول بعضهم في بعض إلا لكونه من الأقران فإنه لا يعرف الرجل إلا أحد الأمرين أقرانه وأعظم ما فرق بين الناس هذه العقائد والاختلاف فيها فليحذر عن قبول المختلفين فيها بعضهم في بعض ويستقر آخر ما يلتقي هذه العدة العاشرة وجود الحديث في الصحيحين أو أحدهما لا يقضي بصحته بالمعنى الذي يعتقد لوجود الرواية فيهما عمن عرف أنه غير عدل كقول الحافظ ابن حجر

Copyright © King Saud University